**تقنيات البحث الأنثروبولوجي**

الأستاذ بوحسون العربي

مدخل:

-توضيح العلاقة بين المفاهيم الأنثروبولوجية الكبرى

إثنوغرافيا-إثنولوجيا-أنثروبولوجيا وخصائص وأهمية كل مفهوم في البحث الميداني.

-ذكر الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا-دراسة الآخر-الغريب-البعيد

الأنثروبولوجيا والشعوب البدائية:

درس الأنثروبولوجيون العديد من الشعوب البدائية، واكتشفوا أحوالهم ومعيشتهم، ونظمهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ونظم الملكية، والحكم، والزواج، والعادات والتقاليد، والدين والسحر والطقوس.

فمنهم من اكتشفها من خلال ما كتب على هذه الشعوب في الروايات والأساطير والكتابات المختلفة على الصخور، ومن خلال الرموز التي وجدت عندهم.

ومنهم من عايش هذه الشعوب واستطاع أن يكتشف بنفسه حياتهم بكل نظمها وثقافاتها. وهذه المعايشة هي التي يصطلح على تسميتها بالمعاينة الميدانية.

مفهوم البحث:

مفهوم البحث الميداني

المنهج: هو مجموعة منظمة من العمليات، تسعى لبلوغ هدف معين. والمنهج هو التنظيم والترتيب للمعلومات لتفادي التكرار وعدم الضياع.

التقنيات: هي الأدوات أو الأسلحة التي يستخدمها الأنثروبولوجي إلى جانب المنهج من أجل جمع المعلومات من الميدان

الأنثروبولوجيا قبل مالينوفسكي وفرانسوا بواس

انتعاش البحث الميداني:

شجعت الدول المستعمرة بعد الح الع الثانية علماء الأنثروبولوجيا للنزول إلى الميدان لمعاينة واكتشاف الحقائق عن المستعمرات الأوروبية في افريقيا وآسيا لجمع كمية كبيرة من المعلومات تسمح بالتغلغل فيها وإصابة أهدافها بدقة.

دراسات ميدانية على الجزائر في الصحراء والقبائل

مفهوم الميدان ومميزاته:

الميدان هو المخبر(المعمل)= Field work-العمل الحقلي/الميداني) الذي يشتغل فيه الأنثروبولوجي

خصوصيات البحث الأنثروبولوجي(الميداني) وشروطه:

يجب على الباحث الأنثروبولوجي أن يوظف بعض التقنيات المستعارة من العلوم الأخرى سواء كانت اجتماعية أو علمية كالإحصاء مثلا.

أنواع التقنيات:

ــــــــــــــــــــــــــــــ

**الفصل الرابع: مناهج البحث في الأنثروبولوجيا (المنهج والأدوات المنهجية )**

**تمهيد:**

بدأت الأنثروبولوجيا من بحوث و دراسات وصفية تعتمد على جمع غير منظم للمعلومات عن ثقافات و عادات الشعوب , ثم توصلت في مرحلة لاحقة إلى اعتماد المقارنات و الدراسات الاثنوغرافية التي تميزت بنوع من الموضوعية عن المراحل السابقة . فالمناهج المستخدمة في الدراسات الأنثروبولوجية هي متعددة بتعدد الموضوعات التي تتناول الإنسان سواء بعلاقته بغيره أو في تفاعلاته الثقافية أو في سلوكاته و مواقفه حيث نجد التاريخ و علم النفس و علم الاجتماع والاقتصاد والقانون ...إلخ حقولا واسعة تدرس هي كذلك الإنسان في بيئته. و من أهم المناهج التي يمكن اعتمادها وفق ترتيب معين و التي تطورت من خلال البحوث الأنثروبولوجية هي : المنهج الوصفي , المقارن , الاثنوغرافي , الاحصائي , والتجريبي .

يستند هذا الترتيب لهذه المناهج إلى التطور التاريخي للأنثروبولوجيا و الذي بدأ بالوصف العشوائي الذي قدمه الرحالة و المكتشفون للبلدان والشعوب التي زاروها في مختلف العصور , وقد كانوا من رجال الدين والجنود والحكام المستعمرين. ثم قام العلماء باستخدام المقارنة بين أقوال الرحالة وما ورد في الوثائق و الأخبار والآثار من معلومات عن هذه الشعوب , و بعد ذلك تناولتها الدراسات الإثنوغرافية و هي دراسات وصفية للجماعات البدائية عن طريق دراسة الآثار و المظاهر الحضارية بطريقة علمية موضوعية كوسائل استغلال موارد البيئة الطبيعية ووسائل المواصلات والآثار الطبية وأدوات التربية..إلخ.(عبد المجيد عبد الرحيم ص43)

**1-المنهج الوصفي:**

يقوم هذا المنهج على وصف أحوال الناس و ظروفهم الطبيعية و البيئية والاجتماعية والاقتصادية وكل ما يمثل حياة بالنسبة إليهم. انطلقت الدراسات الوصفية الأولى بكتابات المؤرخين القدامى الذين زاروا بلدان غريبة عن بلدانهم بقصد التجارة والعلم . ومن هذه الدراسات ما قام به المؤرخ هيرودوت في وصف عادات الشعوب و تقاليدها . ثم المؤرخين العرب في القرون الوسطى , حيث وصف الرحالة العربي ابن فضلان أحوال أسلاف الوثنيين لسكان شمال أوروبا , والرحالة الشهير ابن بطوطة من خلال القصص والروايات عن الشعوب التي عاش بينها من المغرب حتى الصين, كما قامت البعثة الدانماركية بين عامي 1761-1767 برحلة استكشافية لبلاد العرب بتكليف من ملك الدانمارك آنذاك فريديريك الخامس مثل تركيا , مصر, لمعرفة أحوالهم الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية .(عبد المجيد عبد الرحيم -45).

كانت هذه الرحلات لها أهداف عديدة منها استكشافية علمية , و تجارية بحثا عن الأسواق و إقامة العلاقات , و سياسية استعمارية و تبشيرية . حيث نشأت عن هذه الرحالات الوصفية دراسات علمية مقارنة بين عادات و ثقافات الشعوب أدت إلى قيام نزعة علمية تحليلية للأعمال المجمعة . و من أمثلة ذلك ما قام به العالم الجغرافي المغربي الإدريسي(1100-1166)الذي استطاع أن يؤسس لعلم الجغرافيا , حيث رسم خرائط أصبحت مصدرا لبداية الكشوفات الجغرافية لما تضمنته من معلومات عن الكرة الأرضية , فقد ألف كتابه "نزهة المشتاق"عام 1154 ضمنه أوصافا للأقاليم المناخية السبعة للأرض التي صورها في خريطته , حيث وصف البلدان و الجبال و الأنهار و الغلات و الأجناس البشرية و الأنشطة الاقتصادية و الصناعات و الفنون و الثقافات (أيمن أبو الروس -8)

و هكذا برزت الدراسات المقارنة كمنهج جديد لفرز الاختلافات بين الشعوب و لاعطاء الطابع العلمي للزخم من المعلومات التي تكدست في حقائب و مكاتب هؤلاء المكتشفين بدون تحليل علمي , بل ظلت عبارة عن أوصاف, هذا ما ساعد على تطوير المنهج المقارن في الدراسات الأنثروبولوجية .

**2-المنهج المقارن :**

كان في أول الأمر يتم مقارنة العادات و القيم و العقائد الدينية المنتشرة عند الشعوب البدائية , و الشعوب التطورة (الغربية) و و في هذه الفترة لاحظ علماء الأنثروبولوجيا تفوق الديانة المسيحية على سائر الديانات الأخرى مما فسح المجال إلى ظهور علم مقارنة الأديان (أحمد الخشاب -228).

برز المنهج المقارن بالخصوص مع الحركة الاستعمارية في القرن 19, هذه الحركة التي كانت تسعى للسيطرة على الشعوب الضعيفة و البدائية , حيث نشطت هذه الحملات في البداية عنطريق وصف هذه المجتمعات في كل مناحي حياتها حتى في أمزجتها و خصائصها الشخصية (قوة الجسم , درجة الذكاء , و التعلم ...إلخ) . و حاولوا مقارنة ذلك بخصائصهم أي الأوروبيون الذين كانت لديهم نظرة ذاتية متفوقة على جميع الشعوب الأخرى .

و كان الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو معرفة نقاط القوة و الضعف لدى هذه الشعوب لمعرفة الأبواب التي يدخلون منها و الأبعاد التي يسيطرون عليها في البداية من أجل فرض الهيمنة و التحكم القوي على الثقافة و الدين و الاقتصاد . فقد كان هدف المستعمر بالدرجة الأولى يكمن في البداية في نشر الدين المسيحي في أرض هذه الشعوب المحتلة حتى يربطونها بالمجتمع الأوروبي من أجل الاستحواذ على النواحي الثقافية و السياسية و الاقتصادية بسهولة تامة (عبد الله عبد الغني غانم وآخرون -89)

استخدم عدة علماء هذا المنهج في دراساتهم المتنوعة و من أهمهم العالم وسترمارك wester mark فقد استخدمه لتوضيح التشابهات الكبيرة بين الحضارات في عدة عناصر (ثقافية , دينية,, سياسية و اقتصادية ), و استخدمه أيضا العالمين مونتسكيو , روسو و غيرهم في وصف حياة الشعوب البدائية التي وصفتها الكتب المقدسة و مقارنتها بالحياة الأوروبية المتطورة . و استخدمه أيضا العالم الأنثروبولوجي الانجليزي فرايزر في مؤلفه المشهور الغصن الذهبي , و كذلك العالم تايلور اللذان كتبا عن البدائيين في مختلف العصور و إبراز أوجه الاختلاف و التشابه فيما بينها ( وسام العثمان -74).

**3-المنهج الاثنوغرافي :**

يعتبر المنهج الأنثروبولوجي العلمي لأنه يقوم على الدراسة الميدانية للظواهر الاجتماعية باستخدام أسلوب المعاينة و المعايشة الشخصية للباحث للجماعات و الظواهر المراد دراستها .

لقد استخدم هذا المنهج في السابق و لكنه لم يتميز بالصفة العلمية , بل اقتصر هدفه على مجرد الوصف و الجمع للحقائق من خلال الرحالات و الاستكشافات التي أجراها الأنثروبولوجيين و المؤرخين , حيث اقتصر دورهم على المقارنة و تتبع أصل الظواهر في تطوراتها الزمنية كما فعل أصحاب الاتجاه التطوري , حيث لم تكن الدراسة الميدانية و إجراء الملاحظات العلمية ذات أهمية عندهم لأنهم اكتفوا بالمعلومات التي استقوها من الصحف و الأرشيفات التي كتبها المؤرخين و جمعها الرحالة و التجار .

بينما بدأت المحاولات العلمية الأولى في تطبيق الاثنوغرافيا العلمية مع دراسة راد كليف براون لجزر الأنديمان ما بين 1906-1908 محاولا استخدام أسلوب تقصي الحقائق , ثم تلتها الدراسة الشهيرة للعالم البريطاني مالينوفسكي التي طبقت فيها أداة الملاحظة بالمشاركة في جمع الحقائق و تمحيصها , و التي اعتبرت من أبرز ما انتجته الأنثروبولوجيا في المنهج العلمي , إذ تميزت بها عن مناهج العلوم الاجتماعية الأخرى كعلم الاجتماع و علم النفس . فقد تطلب منه هذا الانجاز قضاء ما يقارب 4 سنوات في جزر التروبرياند بماليزيا و تعلم لغة الأهالي مما ساعده على تحقيق هدفه العلمي بصورة ناجحة .(وسام العثمان -76).

**4-المنهج الإحصائي :**

يستخدم هذا المنهج الطريقة الكمية أي تفسير الظواهر و التعبير عنها بالأرقام ,حيث يلجأ الباحث إلى حساب تكرار بعض الظواهر الثقافية و الاجتماعية حسابا مطلقا و نسبيا . إلا أن استخدام هذا المنهج بهذه الطريقة في البحوث الأنثروبولوجية يظل مجرد نوع من المسح الاجتماعي الذي تستخدمه السوسيولوجيا في إحصاء الظواهر الاجتماعية .

بينما الباحث الأنثروبولوجي إذا أراد استخدام هذا المنهج أن يستعين بالمنهج الإثنوغرافي الذي يحدد له جغرافية منطقة معينة و عدد الدوائر الثقافية , مما يمكنه من تتبع تكرار بعض الظواهر الثقافية في منطقة دون أخرى . و في بعض الحالات يصل الباحث إلى معرفة بعض أنواع الظواهر الموجودة في جهة ويقارنها مع عددها في منطقة أخرى , على سبيل المثال عدد الأضرحة , عدد الأولياء , تردد أعداد الناس على زياراتها , عدد الزيارات للأقارب , عدد الأعياد والمواسم الثقافية ...إلخ.

ومن أهم العلماء الذين استخدموا الاحصاء في الدراسات الأنثروبولوجية , نجد العالم ميردوك الذي كتب كتابا عن البناء الاجتماعي اهتم فيه بشكل خاص بتصنيف العلاقات العائلية و تحليلها و طريقة نشأة الأنواع العائلية المتنوعة .(وسام العثمان -80).

إلا أن استخدام هذا المنهج في الأنثروبولوجيا لم يحض بالقبول حيث انتقده مالينوفسكي و اعتبره منهجا غير ناجح في الدراسة الأنثروبولوجية لأنه يعزل الظواهر عن سياقها الحضاري , و لا يمكن حسب رأيه للأرقام أن تعبر بصدق عن الظواهر من غير الملاحظات الميدانية , و خاصة فيما يتعلق بتفسير بعض المواقف و بعض التصرفات التي تحتاج إلى البحث في عمقها و أصولها الأولى.

**-شروط البحث الانثروبوجي:**

إن ما يميز البحث الأنثروبولوجي عن بقية البحوث الاجتماعية الأخرى هو أن فعاليته تكمن في المعاينة والتحقيقات الميدانية التي تفرض على الباحث التفاعل مع مختلف الظواهر ومقارنتها. ومن أهم الشروط التي ينبغي أن يحترمها المهتمين بهذا المجال ما يلي:

1- ينبغي على الباحث حين يقوم بدراسته أن يعرف أن كل الظواهر الاجتماعية هي مترابطة و متكاملة . بمعنى دراسة المجتمع تكون في شكل دراسة نظام متكون من أجزاء و وظائف ، حيث إذا طرأ تغيير على أحد الأجزاء يتبعه تغيير في كامل النظام ، و لا يمكن فهم وظيفة النظام إلا بفهم وظائف الأنساق المكونة له، حيث أن فهم وظيفة الأسرة لا يمكن إلا عن طريق فهم القانون، الاقتصاد، الدين، الأخلاق، العادات ...الخ.

وعلى الباحث الأنثروبولوجي أن يتميز بالصفة الكلية للظواهر أي دراسته الظاهرة في علاقاتها بالظواهر الأخرى و ليس بالصفة التخصصية مثلما يفعل عالم الاقتصاد أو القانون ...الخ في بعض الأحيان و لكن بدون نتيجة .

2- لابد على الباحث الأنثروبولوجي أن يقوم بدراسة الجانب التطوري للظاهرة حتى يتمكن من معرفة الأسباب المؤدية، إلى التطور الاجتماعي، لأن الدراسة التكاملية تتطلب الدراسة الدياكرونية (التطورية) لمعرفة الأسباب والنتائج ثم استخلاص القوانين واستثمارها في البحوث الأخرى وهذا هو المغزى الأساسي من البحث العلمي .

3- يتوجب على الباحث أن يعتمد على الملاحظة المباشرة والملاحظة الغير المباشرة في وصف الظواهر . فالطريقة الأولى هي الطريقة العلمية لأنها تفرض على الباحث المعاينة الشخصية و كذلك الاندماج في المجتمع و تعلم لغته و عاداته من أجل التعمق أكثر في التفسير.

أما الطريقة الثانية فعادة ما تكون عن طريق قراءة أراء و أرشيفات و مؤلفات و معلومات عن الظاهرة التي جمعها آخرون أو الاعتماد على الروايات و الأساطير والرحالة و المسافرين .

4- على الباحث أن يكون أمينا أثناء الملاحظة و أن ينتهج التمحيص و الدقة .

5- على الباحث أن يستعين بأدوات و وسائل تساعده على جمع البيانات بصورة فعالة كآلة التصوير ، والخرائط ، و أجهزة تسجيل المقالات ...الخ

**-مفهوم المنهجية الأنثروبولوجية:**

من كل ما أشرنا إليه فيما مضى، ومن خلال تلك الميادين والتيارات الفكرية التي بني عليها علم الأنثروبولوجيا يتبين أن الدراسات الأنثروبولوجية متعددة وكثيرة الفروع. ولهذا كان طبيعياً أن يستخدم علماء الأنثروبولوجيا مناهج بحث متعددة وأساليب لجمع المعلومات متنوعة. فمنها ما يشترك فيها الأنثروبولوجي مع غيره من الباحثين في مجال الدراسات الأنسانية كعلم النفس وعلم الأجتماع، وعلم الأقتصاد، ومنها ما هو خاص ينفرد به علم الأنثروبولوجيا وبالذات الأنثروبولوجيا الطبيعية (الفيزيقية) حيث يستخدم الباحث المنهج التجريبي، ومنهج الملاحظة العلمية، أو منهج القيام الأنثروبولوجي (الأنثرومنزي). ومن منظور آخر، فأن الدراسات الأنثروبولوجية تمتاز بترابطها وتكاملها وبنظرتها الشاملة للنظم والظواهر الأجتماعية. فالباحث يفسر الحقائق الأنثروبولوجية على أساس ترابطها وتشابكها بعضها بالبعض الآخر. وهنا يمكن أن نستعرض العديد من المناهج البحثية التي يستخدمها الباحثون في ميدان الأنثروبولوجيا بمختلف فروعها وأنماطها.

**-طريقة المنهج الأثنوغرافي:**

هذا المنهج من أشهر المناهج المستخدمة في الحصول على معلومات علمية دقيقة حول الظاهرة المدروسة. المبدأ العام المبني عليه هذا المنهج هو أن الباحث يحصل على المعلومات والبيانات حول الظاهرة الأجتماعية التي يريد دراستها من واقع الميدان ذاته. فقد بدأ الباحثون من تحديد مجال البحث بدقة وعناية، وتحديد الظاهرة بكل تفاصيلها ودقائقها، وبكل موضوعية وتجرد. ثم أن الباحثين ارتحلوا إلى النظم الأجتماعية المراد دراستها، وعاشوا بين أفرادها لمدة لا تقل عن سنة، بحيث يتمكن الباحث من إتقان لغة ذلك وفهم دقائق علاقاته وعاداته وتقاليده ومعتقداته وشعائره، وكل ما يتصل بنظام حياته. (فهي بداية الأمر كانت هذه الطريقة تستخدم من قبل المبشرين المسيحيين). وهذا ما أطلق عليه بطريقة البحث الحقلي.

وتعتمد الدراسة الأثنوجرافيه على ما يسمى بالملاحظة وينقسم هذا المنهج إلى ثلاثة أقسام:

**1-الملاحظة المباشرة:**

وهي طريقة علمية مباشرة للوصول إلى المعلومات الدقيقة حول الظاهرة المدروسة. وهي تهتم بدراسة المجتمعات البدائية من حيث عناصرها. العرقية أو السلالية، وأصولها الثقافية، ودياناتها وطقوسها وقيمها وتقاليدها.

والباحث يجب أن تتوفر فيه شروط:

-يجب أن يتدرب تدريباً دقيقاً على أساليب التفكير العلمي، والتي يجعل منه باحثاً محايداً هدفه الوصول إلى الحقيقة العلمية واكتشاف القوانين الدقيقة التي تحكم العلاقات الأجتماعية.

-يجب أن يكون دقيق الملاحظة، ويتحلى بالصبر وعدم التعجل في استنتاج النتائج.

-عليه أن يتعلم أفرادها وفهم نظام العاطفة الممزوج بنظام التخاطب، وبفكر بمثل ما يفكرون.

-إذا لم يتمكن من إتقان اللغة لضيق الوقت، أو لقلة الإمكانات، عليه أن يتخذ وسيطاً، أو مرشداً من أعضاء مجتمع الدراسة تتوفر فيه شروط الدقة والموضوعية والأمانه في نقل المعلومات والترجمة.

-على الباحث أن يسجل المعلومات فور الحصول عليها حتى لا تتعرض للنسيان أو الخطأ.

-على أن يستعين بكافة الوسائل التي تعيينه على الحصول على المعلومات الدقيقة في ذات الموضوع الذاتي يبحث فيه، قبل آلات التصوير، وآلات تسجيل الأصوات والخرائط الجغرافية والبيانية، والاستفادة من أحدث الوسائل العلمية في جمع البيانات وتصنيفها وجدولتها.

-أن يتم جمع البيانات بطريقة تلقائية لا تشعر الآخرين بأنهم مراقبين أو مقصودين، مثل المشاركة في الأحاديث العابرة، أو في بعض الشعائر والمراسم والعادات.

-ومن الوسائل المفيدة والمساعدة في هذا النوع من الدراسات هو الاستفادة مما يسمى بجدول البحث الاستقصائي ، أو بما يسمى الاستفتاء بشرط:

-أن يخلو من الصياغة اللغوية الغامضة.

-أن يستخدم الألفاظ المتداولة.

-أن يكون المجتمع المدروس على وعي كافٍ بحيث يتمكن من الأجابه بطريقة مباشرة على مثل هذه الوسائل العلمية.

-أن يستعين الباحث بالأسئلة التي أعدها الأثنوغرافيون. ومن أشهرها أسئلة إفو كارت (Foucart). والتي وضعها عام 1919م. وكان يعمل في مصر، وهو متخصص في مجال الجغرافية فقط وضع حوالي 1200 سؤالاً تتناول كافة المعلومات التي يمكن أن يحتاجها الباحث الأثنوغرافي. وتعتبر مرشداص يستهدي بها الباحث لبناء أسئلة جديدة تتعلق بالمجتمع الذي سيقوم بدراسته. ويمكن أن يستعين الباحث بنماذج أسئلة تورغو Turgo، عن النظم الاقتصادية، وأسئلة كيندل Caindle عن الفولكلور الشعبي، وهكذا...

-بعد حصول الباحث على المعلومات والبيانات التي يحتاجها في دراسته يقوم بتبويبها وتصنيفها إلى مجموعات متجانسة، وفي شكل تكرارات، إحصائية، تفيد في الوصول إلى استنتاجات محددة. حيث يتمكن الباحث الأنثروبولوجي بهذه الطريقة أن يصنف بعض النظم الأجتماعية إلى أنماط محددة، كتصنيفهم على أساس نوع القرابة العائلية، أو الدينية، أو العرقية، أو المنافع الاقتصادية، أو نظام الحقوق والواجبات، أو المراكز الاجتماعية للأفراد...إلخ.

**2-الملاحظة غير المباشرة:**

يعتمد هذا الأسلوب الأثنوغرافي على جميع المعلومات والحصول عليها من خلال مصادر أخرى كالرجوع إلى آراء ومؤلفات الباحثين والدارسين السابقين أو المعاصرين، أو الاعتماد على ملاحظات ومشاهدات الرحالة والمسافرين، أي اعتماد الباحث على المصادر والوثائق والرواية التي تكون ذات علاقة بموضوع الدراسة. وفي هذه الحالة يجب أن يعتمد الباحث على شروط منها:

* 1. تدقيق الباحث في المصادر والإحاطة بها.
  2. فهم الباحث ما تحتويه تلك المصادر من معلومات.
  3. استبعاد المصادر والمعلومات التي يعتريها الشك.
  4. الابتعاد عن المعلومات التي تأتي من غير المتخصصين في موضوع الدراسة.

وأن المصادر، أو المعلومات التي يمكن أن يستفيد منها الباحث في هذه الطريقة على أنواع كثيرة منها:

1. المصادر أو المعلومات المكتوبة، أو المروية بالتواتر.
2. المعلومات التي يمكن استنباطها من الأساطير أو انعلكلور الشعبي كالأغاني والموسيقى والقصص والأمثلة التقليدية وروايات البطولات التي يتناقلها أفراد المجتمع وما ينسج حولها من أساطير.
3. العادات التقليدية والمعتقدات الشائعة بين الناس، وكذلك آداب السلوك التي يراعيها أفراد المجتمع.

**3-الملاحظة بالمشاركة:**

هذه الطريقة أقرب ما تكون من طريقة الملاحظة المباشرة التي تمت الإشارة إليه ويطلق عليها المتخصصون عدة تسميات منها:

* طريقة التداخل الوظيفي .
* طريقة الملاحظة غير النظامية .
* الطريقة الكلية:

وهذه الطريقة تتعلق بتحديد الدور الذي يجب أن يقوم الباحث به عندما يكون في مجتمع الدراسة، حتى يتمكن من الحصول على ما يسمى بالمعلومات الموضوعية المتصلة بالقضية المدروسة، أو المجتمع المدروس. والمقصود بالمعلومات الموضوعية، هو فهم طبيعة البناء الذي يتكون منه المجتمع وفهم دقيق لثقافة ذلك المجتمع.

ودور الباحث، معناه المعايشة الفعلية بين أفراد المجتمع المراد دراسته بشرط الابتعاد عن أي سلوك أو تصرف قد يغير من عادات وتقاليد ذلك المجتمع. وأن يتمكن الباحث من إزالة عوامل الريبة والشك حول دوره وهو مهنته. أي على الباحث أن يعزز دوره في أداء مهمته باكتساب ثقة أفراد المجتمع المراد دراسته. وأن يكون في قرارة نفس الباحث أنه جاء من ثقافة أخرى، وأنه ابن ثقافة تختلف عن ثقافة المجتمع المدروس. وعلى الباحث في أداء مهمته ودوره أن يتعلم لغة ذلك المجتمع المبحوث، ويجيدها بشكل دقيق حتى يتقن طريقة تفكيرهم وتصوراتهم وعلى الباحث أن يكتب تقريراً مباشرة ويومياً عن كل ما يلاحظه ويشاهده أي عمل كل صغيرة وكبيرة أو شاردة وواردة.

**4-طريقة المقابلة:**

وهو منهج آخر ومهم جداً في الدراسة الأنثروبولوجية. وهذا المنهج يعتمد بطريقة أو بأخرى على تحديد أسئلة دقيقة حول الظاهرة الاجتماعية المراد دراستها، ثم مقابلة عناصر المجتمع وجزء دقيق منهم، للإجابة عن تلك الأسئلة. والمقابلة على قسمين:

4-1-**المقابلة الموجهة :**

وهي طريقة يقوم على إعداد استمارة مبنية من عدد من الأسئلة. وتصاغ الأسئلة بدقة، وتكون مفاهيمها مرتبطة بصورة مباشرة بموضوع الدراسة وتشتمل على عدة إجابات محتملة ليكن أن تملأ الاستمارة بسرعة، ويسهل تفريغها في جداول. ويقوم الباحث بقراءة الأسئلة أمام الشخص المراد مقابلته، ويترك له حرية الإجابة عن تلك الأسئلة، ويقوم الباحث بتسجيل الإجابات وفقاً لبنود الاستمارة سلباً أو إيجاباً أو احتمالاً. وهي طريقة أكثر ما يستخدم في المجتمعات المتحضرة والمتمدنة. ولا يمكن استخدامها في المجتمعات البدائية لعدم وعيها ودرايتها بأهمية المعلومات التي لديهم ولشكوكهم حيال مثل هذه الدراسات.

**4-2- طريقة المقابلة غير الموجهة:**

وهي تعتبر من الطرق الرديفة التي تعزز طرق جمع المعلومات الأخرى، مثل طريقة الملاحظة بالمشاركة وقوام هذه الطريقة يعتبر على مقابلة بعض أفراد المجتمع بالذات الأفراد البارزين والقياديين الذين يتمتعون بسمعة طيبة بين أفراد المجتمع المدروس. والباحث هنا عند اختياره مثل هذه الشخصيات يحاول أن يكتسب ثقتهم وتكون بينه وبينهم علاقات طيبة تجعلهم يفتحون قلوبهم له، ويوفرون له الحقائق والمعلومات الصحيحة والدقيقة غير المزيفة. مثل هؤلاء يعتبرون بالنسبة للباحث إخباريون. إذ يتيح لهم الباحث فرصة الإجابات المطولة عن التساؤلات التي يطرحها دون توجيه أو تدخل. وعندما يتنقلون في الحديث من موضوع إلى آخر عليه أن لا يحاول إيقافهم أو قطع حديثهم، بل يشجعهم على ذلك ويدعوهم للاسترسال في الحديث الذي يهم الباحث وبطريقة لبقة.

إن الباحث هنا وبكل حذر وبدون تصرف يثير الشك والريبة، عليه أن يدون كل ما يسمعه أو تسجيلها بالآلات الحديثة. وإذا كان هناك من ممانعة في التسجيل على الباحث أخذ النقاط الأساسية والخطوط العريضة، ثم يدون التفصيلات بعد الانتهاء من المقابلة مباشرة. هذه الطريقة مفيدة لأنها تظهر خصائص الأفراد الشخصية وسماتهم الذاتية، من خلال إعطائهم معلومات تفصيلية عن الموضوعات التي تدور حولها الأسئلة.

**5-السيرة التاريخية أو سيرة الحياة:**

وهي من الطرق التي يستخدمها الأنثروبولوجيون أثناء الدراسة الميدانية:

-وهي مبنية على تدوين أهم الأحداث التي تمر في حياة بعض أفراد مجتمع الدراسة. حيث يطلب الباحث من الفرد المعني أن يقص عليه تاريخ حياته منذ أن كان طفلاً صغيراً حتى تاريخ الحديث أو اللقاء.

-يجب على الباحث هنا أن يبني صلة طيبة مع الفرد المعني حتى تتوثق العلاقة، ويفضي الفرد المعني بمعلومات معتمدة وصادقة يمكن الاعتماد عليها. هذه الطريقة جيدة. واجتماعية وتعطي للفرد المعني نوعاً من الأهمية، ولكنها في نفس الوقت لا تخلو ن صعوبات منها: صعوبة تذكر الأحداث القديمة وإمكانية الإدلاء بمعلومات كاذبة.

-هنا يتمكن الباحث من التأكد من صحة المعلومات من خلال دراسة سيرة أكثر من فرد، ومقارنة معلوماتهم والأخذ بالمعلومات التي يتفقون عليها.

-هذه الطريقة تفيد الباحث في الحصول على كثير من المعلومات الاثنوغرافية الثقافية، على الأخص إذا كان الفرد المعني، ذا مركز هام في المجتمع، سواء كان ذلك المركز سياسي أو اقتصادي أو عقائدي.

-يتمكن الباحث من أن يعزز صدقية معلوماته كذلك بدراسة تاريخ حياة الأسرة. حيث يجمع معلومات من عدة أشخاص ينتمون إلى أسرة واحدة وأن يكون سرد تاريخ الحياة بطريقة تلقائية بعيدة عن التكلف أو الانفعال.

-هذه الطريقة مفيدة وفعّالة لدى الأنثروبولوجيين الذين يهتمون بدراسة الثقافة والشخصية، أو الذين يهتمون بما يسمى بالأنثروبولوجيه النفسية.

**6-طريقة المقارنة:**

-أساس هذه الطريقة هو عدم الاكتفاء في الحصول على المعلومات والتوثق منها على دراسة ميدانية واحدة، بل على دراسات ميدانية متعددة. وهذا الأمر يتيح المجال للباحث كي يقوم بالمقارنة بين تلك الدراسات. وهي أقرب ما تكون إلى الطريقة العقلية التحليلية بالنسبة للباحثين الأنثروبولوجيين حيث يصل الباحث إلى تعميمات دقيقة من خلال الاعتماد على عدة دراسات وليس من خلال دراسة واحدة على أن تكون تلك الدراسات قد طبقت على مجتمعات مختلفة في تكويناتها ونظمها. فكل دراسة جديدة توسع في مجال المقارنة والتحليل بين النظم الاجتماعية والأنساق الثقافية. على ذلك يتمكن الباحث باستخدام هذه الطريقة أن:

1. يفهم البناء الاجتماعي كله وليس جزء منه.
2. يكشف عن الوظائف الاجتماعية التي تؤديها النظم الاجتماعية.
3. الكشف عن التأثيرات المتبادلة بين النظم الاجتماعية.

-إذا تمكن الباحث من فهم تلك الوظائف الثلاث بالنسبة لمجتمع واحد بعينه، يتمكن بعد ذلك مقارنة تلك الوظائف بمثيلاتها في مجتمعات أخرى.

-ويجب عند المقارنة استخدام الدراسات الميدانية المشهود لها بالعلمية والموضوعية والتي نفذها المتخصصون في الأنثروبولوجيا بفروعها المختلفة.

-هناك تقليد علمي، في هذا المجال يسمى بتعقليد "مالينوفسكي".

ويستخلص مفهوم هذا التقليد في أن يتخصص الباحث الأنثروبولوجي في مجتمع واحد أو على أكثر الأحوال في ثلاثة مجتمعات، بحيث يقضي الباحث حياته العلمية كلها في الكتابة عن تلك المجتمعات ودراستها وتحليل بناءها الاجتماعي وذلك بغرض الوصول إلى فهم عميق لأنماط وخصائص نظمها الاجتماعية.

وقد أكد الباحث مالينوفسكي بأنه لا يمكن فهم الحياة الاجتماعية لدى شعب من الشعوب البدائية إلا إذا درست دراسة عميقة ومركزة. وقد نفذ مالينوفسكي تأكيده هذا عندما درس قبائل "التروبرياندر" إحدى قبائل شرق آسيا الكبيرة، دراسة مطولة استغرقت أربع سنوات، وكان أول من استخدم لغة الأهالي في جمع المعلومات. وقد أتاحت له هذه المدة الطويلة فرصة التعمق والتغلغل في الحياة الاجتماعية لتلك القبائل. وقد انتقد بعض الباحثين تقليد مالينوفسكي.

حيث أن التركيز على مجتمع واحد يستنفذ جهد الباحث ويؤدي إلى قلة تحدد الدراسات وهذا الأمر يعرقل الدراسة الميدانية المقارنة،ـ نتيجة لقلة الدراسات.

-ولتلافي هذه الإشكالية، تمّ اقتراح نوع جديد من المقارنة سمي "بالمنهج التجريبي المقارن". وهو يعني أنه يقوم الباحث الأنثروبولوجي باستنتاج عدة نتائج من دراسية العميقة والمطولة لمجتمع واحد، ومن ثم يقوم الباحث ذاته أو باحث آخر بالتحقق من صحة وموثوقية تلك النتائج تجريبياً وذلك بمطابقتها نتائج دراسات أخرى مشابهة وتحمل نفس المفاهيم. وبذلك تتسع صحة تلك النتائج بصورة تدريجية، وتتحول من كونها مجرد فروضا لتصبح قوانين أو مبادئ عامة.

ومن العلماء الذي طبقوا هذه الطريقة هو الباحث "شنايدر" عن فحث النتائج التي توصل إليها الباحث "برتشارد" في دراسته لقبائل "التنوير" في السودان. حيث أخذ "تشنايدر" نتائج تلك الدراسة وطبقتها على قبائل "الزولو" في السودان لذلك وهناك أمثلة متعددة في هذا المجال.

**مراجع الفصل الرابع:**

-عبد المجيد عبد الرحيم, الأنثروبولوجيا علم الإنسان , مكتبة الغريب , القاهرة , 1979.ص43.

-نفسه،ص45.

-أيمن أبو الروس , الكشوف الجغرافية , دار الطلائع للنشر و التوزيع و التصدير , مطابع ابن سينا , القاهرة 2003.ص8.

-أحمد الخشاب , دراسات أنثروبولوجية , دار المعارف , مصر 1970 . ص228.

-عبد الله عبد الغني غانم و آخرون , المدخل إلى علم الإنسان , المكتب الجامعي الحديث و الأسكندرية ,1998.ص89.

-وسام العثمان , المدخل إلى الأنثروبولوجيا , ط1 , الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع , دمشق , 2002. ص -74).

-نفسه،ص -76.

-نفسه،ص -80.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

**المرحلة الثانية من البحث الميداني: البناء التقني**

يمكن تحديد تقنيات البحث (وسائل التقصي) إلى ستة أنواع أساسية:

-الملاحظة في عين المكان.

-المقابلة.

-الاستمارة.

-التجريب.

-تحليل المحتوى(المضمون).

-تحليل الإحصائيات.

-التقنيات الأربعة الأولى هي تقنيات مباشرة تؤدي إلى إنتاج معطيات أولية، أي معلومات لم تكن موجودة من قبل. حيث يبدل الباحث جهدا كبيرا للوصول إلى تحقيقها.

-أما التقنيتين الخامسة والسادسة، هي تقنيات غير مباشرة تؤدي إلى إنتاج معطيات ثانوية، أي معلومات موجودة من قبل، يقوم الباحث بتفسيرها وتبيان أهميتها.

سوف نقوم بشرح كل هذه التقنيات، مع إعطاء أمثلة.

**أولا-الملاحظة:**

يمكن أن نميز بعض الأنواع من الملاحظات:

**1-الملاحظة بالمشاركة:**

تتطلب من الباحث الاندماج في مجتمع البحث. للحصول على المعلومات وعادة ما تستخدم هذه الملاحظة في البحوث الأنثروبولوجية، وهي الأداة المفضلة لدى الأنثروبولوجيين ، حيث يعتبر الأنثروبولوجي مالينوفسكي أول من مارس هذه التقنية على الشعوب التي درسها وخاصة البدائية، فكان يقيم بينهم لزمن طويل ويتعلم لغتهم، ويشاركهم في أفراحهم وأحزانهم وطقوسهم وعاداتهم وهذا المقصود بالاندماج. حتى يشعر بأنه جزءا من المجتمع المدروس.

-أما فيما يخص زمن الملاحظة، فهناك من يتطلب:

- زمن طويل(04سنوات كما فعل مالينوفسكي عندما أقام عند سكان جزيرة التروبرياند بالمحيط الهادي). يسمح له هذا الزمن الطويل باكتشاف أسرار، وهوية الشعب المدروس.

- زمن قصير يقتصر على ملاحظة حادثة أو واقعة مثل احتفال عيد الميلاد، حفل زواج، أو موكب جنائزي، أو اجتماع معين.....إلخ.

**2-الملاحظة المستترة:**

وهي أن تلاحظ الأشخاص دون علمهم بأنك باحث وتتطلع إلى معرفة حقائق معينة عنهم، مثل مافعل بعض الأنثروبولوجيين عندما تظاهروا بأنهم من المرضى مقيمين في المستشفى لكنهم باحثين.

**3-الملاحظة المكشوفة:**

أي المفتوحة ، وتتم بعلم الأفراد الذين تلاحظهم، المهم أنك تعرف كيف تكسب ثقتهم بك لكي تتحصل على المعلومات اللازمة لهدف البحث الذي تنجزه.

**4-الملاحظة الاستعادية، أو الاسترجاعية:**

وتعني أن نلاحظ مجتمع كنا نحن أعضاء فيه بعدما انفصلنا عنه. مثلا عندما كنت تعيش في قريتك لم تكن تستطع أن تلفت انتباهك لبعض الأمور، لأنها كانت تعد جزءا منك لا يمكنك ملاحظتها. لكن بمجرد الانفصال ثم العودة مرة أخرى إليها تلاحظ الأشياء بشكل دقيق.

**ثانيا: المقابلة:**

هي تقنية مباشرة تستعمل من أجل مساءلة الأفراد وجها لوجه وبكيفية منعزلة. حيث تكون المقابلة موجهة، أي تقديم أسئلة للمستجوب(المبحوث) وننتظر منه الإجابة، حيث نمنحه الحرية المطلقة لذلك. أحيانا يدخل الباحث مع المبحوث في حوار يكون غزير بالمعلومات التي ربما يتفطن لها الباحث بأنها أساسية وضرورية لبحثه.

عادة ما تستخدم المقابلة كأداة تمهيدية للبحوث الاستطلاعية.

-تتكون المقابلة من ثلاثة عناصر أساسية هي:

1-الباحث

2-المبحوث

3-مواقف المقابلة

حيث أن هناك ارتباط قوي بين هذه العناصر. كما تؤدي المقابلة في جميع الأحوال وظيفة التفاعل الاجتماعي.

**-أهم مميزات الشخص القائم بالمقابلة:**

1-الخبرة في الكلام، تسمح له بكسب ثقة المبحوث. أي حسن الكلام، ومحاولة جذب المبحوث بكلام مهذب ومحترم يرفع من معنوياته ومن مقامه.

2-تخصيص الوقت المناسب والظرف الملائم. أي لا يمكن أن نطلب مقابلة أحد المبحوثين في فترة صباحية باكرة، أو في وقت يكون فيه منشغل بأموره العائلية. وكذلك يجب اختيار الظرف الملائم كأن يكون في راحة، وغير مريض، أو مسافر...إلخ

3-يستحسن أن تكون المقابلة في شكل مناقشة وحوار حتى لا يشعر المبحوث بنوع من التمييز بينه وبين الباحث، أي لا نعطيها الصيغة الرسمية. مثل صيغة الرئيس والمرؤوس.

4-ينبغي على الباحث أن يبدأ بالأسئلة البسيطة ثم ينتقل تدريجيا نحو القضايا المعقدة والمركبة، وهذا يجعل المبحوث هو أيضا يتذكر ويتدرج مع نوع الأسئلة المطروحة. كأن نسأله عن نمط حياته مع العائلة الممتدة، ثم ننتقل إلى مسألة تقسيم العمل، ثم ننتقل إلى الصراع على الممتلكات العائلية مثلا، وهكذا.

**-أنواع المقابلة:**

**-المقابلة الحرة:**

حيث لا يوجد قيد في الأسئلة مما يعطي فرصة للمبحوث للتعبير بحرية.

**-المقابلة المقننة:**

نقوم بتحديد شكل ومضمون المقابلة، والأشخاص المراد مقابلتهم، بحيث تكون الأسئلة والمواضيع المراد الكشف عنها محضرة مسبقا.

**-المقابلة المتعلقة بالموضوع:**

تتطلب هذه المقابلة الإحاطة الشاملة بالجوانب المعمقة للموضوع من أجل معرفة خبرات ومعارف المبحوثين حول مسألة محددة. حيث يمكن للمبحوثين أن يعبرون عن خبراتهم السابقة والحديثة حول نقطة محددة في البحث تكون ذلت أهمية بالنسبة للباحث.

**-المقابلة بالاستمارة:**

تكون المقابلة بواسطة أسئلة محددة في استمارة توزع على المبحوثين لغرض الإجابة عنها.

**المحاضرة السادسة**

**ثالثا: الاستمارة:**

مجموعة من الأسئلة تقدم للمبحوث في عدة أشكال، من أهمها:

-الاستمارة بالمقابلة: تملأ من طرف الباحث.

-استمارة الملء الذاتي: تملأ من طرف المبحوث نفسه.

**-أنواع الأسئلة:**

أ-السؤال المغلق: يتضمن نوعين من الأسئلة، سؤال ثنائي التفرع، وسؤال متعدد التفرع.

أ-سؤال ثنائي التفرع: يتمن أسئلة مغلقة تطلب أيضا إجابة مغلقة وتكون على شكل:

نعم( )، لا( ) أو صحيح( )، خطأ ( ) .

ب-السؤال المفتوح: لا يفرض على المبحوث إجابة محدد. حيث يسمح بتعدد الإجابات وتكون محدد مسبقا من طرف الباحث، مثلا: ما هو سبب عدم مواصلتك الدراسة في الجامعة؟

الإجابات:

-البطالة بعد التخرج ( )

-عدم الرغبة ( )

-التكفل بالعائلة ( )

الذهاب إلى التكوين ( )

آخر(حدده) ( )

**ملاحظة قد يخلط الكثير بين تقنية سبر الآراء والاستمارة.**

سبر الآراء هو التعبير عن الرأي العام السائد بين أغلبية جماعة معينة إزاء قضية ما قد يحتدم حولها النقاش بين المعرضين والمؤيدين فتطرح على الرأي العام للأخذ بالأغلبية. حيث أن الإجماع على قضية وطنية مهما كان نوعها تسمح بوضع قرارات استراتيجية ومصيرية لإحداث إصلاح أو تغيير معين في ميدان معين سياسي، ثقافي، اقتصادي، اجتماعي ....إلخ. ويحدث هذا كثير في الانتخابات.

ويقاس الرأي العام عن طرق استفتاء، الجمهور إما بسؤال واحد ، أو مجموعة من الأسئلة حول المشكلة القائمة تعرض على عينة منهم يتم اختيارها بطريقة علمية، ويتم سؤال الأفراد إما بتسليمهم استمارة الاستفتاء شخصيا أو ترسل إليهم عن طريق البريد، وبعد ذلك تشرع في استخلاص النتائج بواسطة طرائق إحصائية عددية أو هندسية.

لكن هناك فرق بين الاستمارة وسبر الرأي(sondage d’opinion) يتحدد في هذا الجدول من خلال ثلاثة عناصر معينة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| العناصر | الاستمار | سبر الآراء |
| أ-موضوع الأسئلة | -تأخذ مواضيع عديدة من حياة المبحوث، مثل(طرق العيش، الراتب، الحياة الزوجية، العنف، التعليم....) | -تقصي الرأي حول مسألة محدد مثل(تعديل دستور، مع أو ضد، إدراج عنصر اللغة في التعليم، تقييم مرحلة معينة. ونريد من ذلك استطلاع رأي الأغلبية في المسألة المعروضة. |
| ب-الأفراد المستهدفين | -أسئلة محددة في مواضيع معينة لعينة محددة من المبحوثين | مجتمع كبير أمام سؤال واحد(قضية). |
| ج-عدد الأسئلة | -قد تكون محدودة حول مواضيع وأبعاد مختلفة من مجال معين. | -سؤال واحد يتطلب إعطاء رأي، أو موقف. |

**رابعا : التجريب:**

تستعمل هذه التقنية عندما نريد البحث في العلاقة بين السبب والنتيجة، حيث يسمح بفحص تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع. مثال تأثير تغير سعر سلعة معينة((PA(متغير مستقل) في تغير الكمية المطلوبة(QA) من طرف المستهلك حول هذه السلعة (متغير تابع) في زمن معين.

كما قد نستعمل عدة أمثلة في هذا المجال كتجريب طريقة فعالة في عملية الإنتاج، على سبيل المثال تجارب الإدارة العلمية للعمل في بداية القرن20 التي قادها العالم الأمريكي تايلور، وكذلك العالم ألتون مايون صاحب مدرسة العلاقات الإنسانية في العمل.

وقد ساعد نجاح هذه التقنية في التجريب الاعتماد على النماذج الرياضية والإحصائية للتمييز بين المتغيرات.

**5-تقنية تحليل المضمون:**

هي تقنية غير مباشرة تطبق على مادة مكتوبة أو مسموعة أو سمعية بصرية، تصدر عن أفراد أو جماعات.

وتستخدم في العديد من التخصصات والمجالات في العلوم الانساينة والاجتماعية بالأخص. مثلا لمعرفة اتجاهات الأفراد نحو استهلاك سلعة معينة، نقوم بتحليل مضمون الأحاديث المتداولة بين الناس في الشارع، ومكاتب العمل والمؤسسات.

-تحليل مضمون الصحف والإعلانات المنتشرة في المجتمع لمعرفة اتجاهاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

-تحليل مضمون برنامج دراسي لطور معين من أجل معرفة قيمة اجتماعية أو وطنية معينة مثلا: التنشئة الدينية، المواطنة، العنف....إلخ.

-تحليل مضمون رسائل وخطب سياسية في فترة زمنية معينة.

وتستخدم هذه الطريقة في مجال الأنثروبولوجيا كوسيلة لجمع البيانات الكيفية في السلوكيات والمواقف لدى الأفراد والجماعات حول العادات والتقاليد والممارسات المختلفة.

**6-تحليل الإحصائيات:**

هي تقنية تطبق على مواد أو وثائق متعلقة بافراد أو جماعات مثل تعداد السكان. وتسمح بالمعالجة الإحصائية( الكمية) للبيانات، على غرار تحليل المحتوى الذي يعالج بالطريقة الكيفية. وتستخدم تحليل الإحصائيات في البيانات السوسيولوجية بدرجة أكثر، حيث يتعامل الباحث مع عينة قابلة للقياس العددي يجري عليها استقصاءات. وعندها تفريغها يقوم بترتيبها وتصنيفها ومعالجها إحصائيا.